

التبيان في تفسير القرآن

(358) قوله تعالى: وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر في آياتنا قل إنما أسرع مكر إن رسلنا يكتبون ما تمكرون (21) آية. روى روح " يمكرون " بالياء .
الباقون بالتاء. أخبر الله تعالى بأنه إذا أذاق الناس يعني الكافرون " رحمة " بأن أنعم عليهم ووسع أرزاقهم وأخصب أسعارهم " من بعد ضراء " يعني بعد شدة كانوا فيها من جذب وضيق نالتهم " مكروا في آياتنا " فجواب (إذا) الأولى في (إذا) الثانية وإنما جعلوا (إذا) جوابا إذا كانت بمعنى الجملة على ما فيها من المفاجأة، كما قال تعالى " وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون " (1). وحقيقة الذوق تناول ما له طعم بالفم ليوجد طعمه. وإنما قال: أذقناهم الرحمة على طريق البلاغة لشدة إدراك الحاسة. والمكر قتل الشيء إلى غير وجهه على طريق الحيلة فيه، فهؤلاء محتالون لدفع آيات الله بكل ما يجدون السبيل إليه من شبهة أو تخطيط في مناظرة أو غير ذلك من الأمور الفاسدة. وقال مجاهد: مكرهم استهزاؤهم وتكذيبهم. فقال الله لنبيه (صلى الله عليه وآله) " قل " لهم " إنما أسرع مكرا " يعني أقدر جزاء على المكر، وذلك أنهم: جعلوا جزاء النعمة المكر مكان الشكر، فقبلوا بما هو أشد. والسرعة عمل الشيء في وقته الذي هو أحق به، والمعنى: إن ما يأتيهم من العقاب أسرع مما أتوه من المكر أي وقع في حقه. وقوله " إن رسلنا يكتبون ما تمكرون " إخبار منه تعالى أن ملائكة الله الموكلين بهم يكتبون ما يمكرون من كفرهم وتكذيبهم، ففي ذلك غاية الزجر والتهديد على ما يفعلونه من المكر والحيل في أمر النبي (صلى الله عليه وآله)

_____ (1) سورة 30 الروم آية 36 (*)